ان التبرير المتعدد الاشكال هذا تم من وجهة نظر الطبقة المسيطرة ، لذلك فهو عاجز ان يرى نفسه كما هي لانه يتوهم انه شامل كامل ، لذلك فهو يرصد أسباب الهزيمة في عوامل خارجية ، ويرى بالتالي ضرورة تغيير وتطوير العـــوامل الخارجية ، أما هو كمطلق الفلسفة المثالية كامل لا يتغير وقادر على تغيير غيره ، فهو بؤرة ثابتة وما حوله عالم متحركات . لذلك فالطبقة المسيطرة عاجزة عن رؤية ذاتها ، وهذه الرؤية لا يمكن ان تتم بشكل صحيح الا من خلال نقيضها .

ميكانيكية التضليل

يتمثل التضليل باعطاء تأويل مشوه عن واقع ما لجعل الآخر غير قادر على رؤية الوجه الحقيقي لهذا الواقع ، وهي تهدف الى دعم وتأكيد هذا الواقع المشوه في جوهره، أي انه عندما تقدم الايدولوجيا المسيطرة صورة مشوهة عنه تقوم بتصحيحه حتى يقبل كواقع عادي . فالتضليل اذن يهدف الى اعطاء صورة مشوهة عن واقع مشوه ، أي ازالة تشويه هذا الواقع بأدوات ايدولوجية .

وقد يكون التضليل عملا واعيا يرمي الى تخدير الآخر حتى لا يرى هشاشة وسوء الواقع ، فهو في الحالة هذه نمطا من الدفاع عن الذات وترميم هذه الذات ازاء الآخر .

اذا طبقنا هذا المفهوم على صحافة الهزيمة لوجدنا انها أرادت ان تغطي الوجـــه الحقيقي لتجليات الانظمة عند صدامها مع العدو وسقوطها أمامه . لذلك أخذ التضليل كل أبعاده الممكنة ابان حرب حزيران وقبلها ، ويتمحور عمله هنـــا على رسم شكل العلاقة بين الانظمة العربية والعدو الصهيوني ، أي رســـم صورة سلبية للعدو من ناحية ، ورسم صورة ايجابية للانظمة العربية من ناحية ثانية .

لذلك فقد رسمت الصحافة صورة العدو « الذي يعيش في حالة فزع واضطراب »(٣٧) والذي في طبيعته « كيان صنع من الجبس ليس أصيلا ولا صلبا ، ولا يستطيع أن يتغير الا اذا انكسر »(٣٨). وعلى هذا فان هذا الكيان بدأ يتصدع « وخلت مدن اسرائيل من الشبان تماما كما أغلقت الفنادق أبوابها بعد ان هرب السياح »(٣٩). وتؤكـــد هذه المعطيات كلها أمرا واحدا هو « ان صفحة جديدة تفتح اليوم لتكتب فيهاأمتنا نهاية آخر الاستعماريين والى الابد الوجود الصهيوني »(٤٠).

لا يعجز الفكر الايدولوجي هنا عن تقدير قوة العدو فحسب ، بل يحاول ان يعملق ذاته على حساب الآخر ، فيرتكب عندئذ خطأ مضاعفا : الجهل بالذات والجهل بالآخر . فالآخر يبدو جزءا مضطربا في حين تبدو الذات « الانظمة » قويـــة متراصة في حركة دينامية دؤوبة ، فهناك « توزيع المتطوعين علـــى تشكيلات السلاح »(٤١) و« التعبئة العربية عسكريا وسياسيا واقتصاديا تصل الى ذروتها »(٤٢)، كما تبدو المعنويات في أوج حماسها « دفعة جديدة من الطيارين تأخذ مكانها ... وقائد القوات الجوية يقول: هذه دفعة محظوظة لانها تتخرج والقوات المسلحة مستعدة للقيام بواجبها »(٤٣)، وتأخذ اليقظة والوعي كل ابعادهما « أمر الى الطائرات المصرية المزودة بالصواريخ الموجهة أن تقوم بمتابعة تحركات حاملة الطائرات البريطانية « هيرمس » التي تعمل في البحر الاحمر »(٤٤). أما فيما يتعلق بالوضع العربي فالوضع لا يقل حماسا وتهيئة « رئيس وزراء الاردن يؤكد للانوار : سنخوض المعركة »(٤٥) و « قوات جوية وبرية تغـــادر العراق لتتخذ مواقعها في الجبهة الامامية ، وليبيا تعلن انها ستقطع بترولها في حـــال تعرض الدول العربية للعدوان »(٤٦). وتظهر النظرة الاولى الى هذه الوقائع استعداد العرب الكامل لخوض المعركة ، وقبول كل التحديات مهما عظم شأنها « غواصتـــان